

النم والإجتها

[160] " قوموا " طاهر في استيائه منهم، ولو كان الممانعون مصيبين لاستحسن مما نعتهم وأظهر الارتياح إليها. ومن ألم بأطراف هذا الحديث، ولا سيما قولهم: " هجر رسول الله " يقطع بأنهم كانوا عالمين أنه إنما يريد أمرا يكرهونه، ولذا فاجؤوه بتلك الكلمة وأكثروا عنده اللغو واللفظ والاختلاف كما لا يخفى. وبكاء ابن عباس بعد ذلك لهذه الحادثة وعدها رزية دليل على بطلان هذا الجواب. قال المعتزرون: إن عمر كان موفقا للصواب في أدراك المصالح، وكان صاحب الهام من الله تعالى. وهذا مما لا يصغى إليه في مقامنا هذا لأنه يرمي إلى أن الصواب في هذه الواقعة إنما كان في جانبه، لا في جانب النبي، وأما الهامه يومئذ كان أصدق من الوحي الذي نطق عنه الصادق الأمين صلى الله عليه وآله. وقالوا: بأنه أراد التخفيف عنه صلى الله عليه وآله اشفاقا عليه من التعب الذي يلحقه بسبب املاء الكتاب في حال المرض، وأنت تعلم أن في كتابة ذلك الكتاب راحة قلب النبي، وبرد فؤاده وقرّة عينه، وأمنه على أمته صلى الله عليه وآله من الضلال. على أن الأمر المطاع، والارادة المقدسة مع وجوده الشريف إنما هما له، وقد أراد - بأبي وأمي - احضار الدواة والبيض، وأمر به فليس لاحد أن يرد أمره أو يخالف ارادته (وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمرا أن يكون لهم الخيرة من أمرهم ومن يعص الله ورسوله فقد ضلّ ضلالا مبينا) (217). على أن مخالفتهم لأمره في تلك المهمة العظيمة، ولغوهم ولغظهم واختلافهم عنده كان أثقل عليه وأشق من املاء ذلك الكتاب الذي يحفظ أمته من الضلال (217) سورة الاحزاب آية: 36.